بنية الزمن الروائي عند جمال الغيطاني (هاتف المغيب) أنموذجًا

إيمان فتحي زكي محمد (*)

الحمد لله فاطر السموات والأرض، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

فالرواية فن الزمن، والزمن لا يشيخ ولا يهرم، وإنما يستمر مع كل الأجيال والأحقاب، وإذا كانت الرواية تقوم على أعمدة ثلاثة: الحدث والشخصية والمكان، فإن الزمن هو العمود الرابع الذي لا يمكن الاستغناء عنه. فالحدث كما يستلزم فاعلا ومكانا ما، فإنه بلا شك لا بد له من زمن يقع فيه.

فالرواية مرتبطة بالزمن ارتباطا وثيقا، إذ إنه يمثل" الإيقاع الذي يضبط أحداثها، والشاهد الحي المعبر عن مصير شخصياتها، والعنصر الفعال الذي يغذي حركة الصراع الدرامي فيها"(١). وهو ما يعني أن الزمن هو الركيزة الأساسية في الأحداث القصصية بصفة عامة والأحداث الروائية بصفة خاصة.

ومن الجدير بالذكر أن معرفة الزمن تنير لنا الطريق لاستيعاب أيديولوجية الأحداث؛ لأن الزمن يعد الأب الشرعي للحدث، فكيف يتولد حدث ما بدون زمن معين؟ فالحدث في أي عمل قصصي أو روائي يصبح نكرة أو شبه عارٍ حينما يتغاضى عن هذا العنصر الجوهري، فلا يكتمل نموه، وتتبلور ملامحه، ويصبح معرفة إلا في وجود زمن محدد ومعين، إذ إننا نجد أنفسنا في الأعمال القصصية عامة والروائية خاصة " منعطفين بقوة تجاه ما يجري من الأحداث، متى وقعت؟ أي منها يتبع الآخر؟"(٢)، كما أن معرفة الزمن في الأعمال القصصية /الروائية تمنح الحدث قدرا كبيرا من المصداقية الأدبية،

(*) باحثة دكتوراه – قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

هذا البحث جزء من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة بعنوان: "البنية السردية في روايات جمال الغيطاني"، تحت إشراف أ.د.سهام راشد عثمان – كلية الآداب – جامعة سوهاج & د. محمود دياب محمود – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه. دار الفكر العربي سنة١٩٦٧م، ص١٩٤-١٩٥.

(٢) روجربهينكل: قراءة الرواية، ترجمة د. صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة٢٠٠٥م، ص٧٨.

وخاصة عندما يكون موجودا في الأعمال التي تناقش قضايا اجتماعية أو سياسية.(١)

ونظرا لأهمية الزمن في السرد الروائي، اهتمت الدراسات الحديثة به، وعالجت هذا الموضوع باستفاضة، من خلال مفهومه، وأنواعه.

ولأهمية الزمن في النص الروائي جاءت هذه الورقة البحثية لتلقي الضوء على فاعليته في بناء النص الروائي عند أحد أهم كتاب الرواية في مصر والوطن العربي، ألا وهو الكاتب الروائي جمال الغيطاني، وقد اتخذت هذه البحث رواية " هاتف المغيب" ميدانا للتطبيق.

مفهوم الزمن الروائي:

الزمن والزمان كما قال ابن منظور: "اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم: الزَّمَنُ والزَّمانُ العَصْرُ، والجمع: أزْمُن، وأزْمان، وأزْمِنة. وزَمَنٌ زامِنٌ شديد، وأزْمَنَ الشيءُ طال عليه الزَّمان، والاسم من ذلك: الزَّمَنُ والزَّمْنة. عن ابن الأعرابي: وأزْمَن ًبالمكان أقام به زَماناً، وعامله مُزامنة وزَماناً من الزَّمَن، الأخيرة عن اللحياني، وقال شمر الدهر والزمان واحد. قال أبو الهيثم: أخطأ شمر، الزمان: زمان الرطب والفاكهة وزمان الحر والبرد. قال: ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر، قال: والدهر لا ينقطع"(٢).

ومن هذه المعاني اللغوية للزمن يتضح ارتباط الزمن بالحدث، بمعنى أنه يتحدد بوقائع الإنسان، وظواهر الطبيعة وحوادثها.

ويرى عبدالملك مرتاض أن الزمن:" هو خيط وهمي مسيطر على التصورات والأنشطة والأفكار"(٣) و" ذكر بيرجسون أن الزمن أشبه بكرة جليد تتدحرج من قمة جبل ثلجي، فما أن تصل إلى قاع الجبل حتى تكون قد التقطت في طريقها كميات من الثلج جعلتها أكبر مما كانت عليه عند البداية. هذا هو مفهوم الزمن عند بيرجسون: فترة زمنية (duration) تكبر ويتسع مداها، ليس

(١) إيمان فتحي زكي: الاتجاهات الفن القصصي في جنوبي صعيد مصر في النصف الثاني من القرن العشرين، مرجع سابق، ص٢٧٨.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثالث عشر، دار صادر، بيروت، ص١٩٩.

(٣) عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، العدد٢٤٠، كانون الأول١٩٩٨م، ص٢٠٢.

وهي تتحرك من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، بل وهي تتفاعل في نطاق الإحساس الحاضر"(١).

أما الزمن في معجم المصطلحات السردية فهو:" مجموع العلاقات الزمنية السرعة – التتابع –البعد..الخ، بين المواقف والمواقع المحكية وعملية الحكي الخاصة بهما، وبين الزمن والخطاب المسرود، والعملية السردية".(٢) وقيل في تعريف الزمن :" العصر أو المرحلة التي تدور فيها أحداث القصة ، وهو عنصر رئيس في الرواية التقليدية، وغير ذي شأن في الرواية الجديدة".(٣) والقول بأنه غير ذي شأن في الرواية الجديدة قول غير مقبول، نظرا لكون الزمن مكونا سرديا رئيسا بجانب المكونات السردية الأخرى في أي عمل روائي، لما يجسده من شبكة علاقات متنامية في نسيج الرواية، إذا هي على حد تعبير لوسينق " فن الزمن"(٤) .

وأيا ما كان الأمر، فإن هذه التعريفات تعد تعريفات تقريبية، لا يمكن الجزم فيها أو القطع. فقد حارت عقول العلماء على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم حول تقديم مفهوم جامع مانع للزمن، لكن لم يصلوا إلى ذلك. وعلى هذا فإن اختلاف هذه التعريفات ناتج من اختلاف مشارب العلم والعلماء، فلكل نظرته الخاصة للزمن، ومن ثمّ يأتي تعريفه وفقا لتوجهاته ومنطلقاته الفكرية والعلمية.

ومن الجدير بالذكر أن دراسة الزمن بمختلف مفاهيمه، ليست الهدف المنشود، إنما نهدف إلى دراسة كل ما له علاقة بالزمن وقضاياه عبر نظام السرد في أعمال جمال الغيطاني الروائية.

---

(١) محمد شاهين: آفاق الرواية "البنية والمؤثرات" منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق ٢٠٠١م، ص٨.

(٢) جيراند برانس: المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٣م، ص٢٣١.

(٣) سمير سعيد حجازي: النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة٢٠٠٥م، ص١٣٥.

(٤) عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص٢٥٩.

- أنواع الزمن:

للزمن عند علماء السرد أنواع متعددة، منها: الزمن المتواصل(١)، والمتعاقب(٢)، والمنقطع(٣)، والغائب(٤)، والذاتي(٥). على أن أهم نوعين من أنواع الزمن يسهمان في تشكيل النص الروائي، هما:

- الزمن الموضوعي(الطبيعي):

وهذا الزمن يتسم " بحركته المتقدمة للأمام باتجاه الآتي، ولا يعود إلى الوراء أبدا."(٦) الأمر الذي يجعل التعامل معه على أنه " كتدفق أحادي الاتجاه الاتجاه وغير كسي، شبيه بشارع وحيد الاتجاه".(٧)

وهذا الزمن" يتجلى في تعاقب الفصول والليل والنهار، وبدء الحياة من الميلاد إلى الموت، فهذه المظاهر كلها تبرز في وجود الأرض (المكان) أي يتحرك الزمان ويتعاقب محددا الطبيعة الأرضية نتيجة الحركة"(٨)

---

(١) والزمن المتواصل: هو الزمن الذي يمضي متواصلا دون إمكان إفلاته من سلطان التوقف، ودون استحالة قبول الالتقاء أو الاستبدال بما سبق من الزمن، وبما يلحق منه في التصور والفعل. انظر عبد الملك مرتاض، مرجع سابق، ص٢٠٣.

(٢) الزمن المتعاقب: هو زمن دائري لا طولي، ولعله أن يدور من حول نفسه، فعلى الرغم من أنه قد يبدو خارجه طوليا، فإنه في حقيقته دائري مغلق. وهو تعاقبي في حركته المتكررة؛ لأن بعضه يعقب بعضه، ولأن بعضه يعود على بعضه الآخر في حركة كأنها لا تنقطع. انظر المرجع السابق، ص٢٠٤.

(٣) الزمن المنقطع أو المتشظي؛ وهو الزمن الذي يتمخض لحي معين، أو حدث معين؛ حتى إذا انتهى إلى غايته انقطع وتوقف؛ مثل الزمن المتمخض لأعمار الناس. انظر المرجع السابق، ص٢٠٤.

(٤) الزمن الغائب: وهو المتصل بأطوار الناس حين ينامون، وحين يقعون في غيبوبة. انظر المرجع السابق ص٢٠٤.

(٥) الزمن الذاتي: وهو الزمن الذي يمكن أن نطلق عليه أيضا " الزمن النفسي". انظر المرجع السابق، ص٢٠٥.

(٦) مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للطبع والنشر، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٤، ص٢٢.

(٧) أحمد محمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، الأردن، ٢٠٠٤، ص٢٤.

(٨) مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، مرجع سابق، ص٢٢-٢٣.

وعلى ما سبق يمكن القول إن الزمن الطبيعي (الموضوعي) يمثل الإطار العام الخارجي للنص الروائي؛ لأنه يمضي دائما إلى الأمام بحركته، ولا يمكنه العودة إلى الوراء، أي أنه أحادي الاتجاه، وليس له اتجاه معاكس.

- الزمن التاريخي:

وهو نمط من أنماط الزمن المعنوي ومظهر من مظاهره، وهو" صيرورة متصلة ومتراكمة. وإنه زمان واحد يستوعب كل الأحداث، ويستند إلى معقولية وغائية تلملمها نظرة فلسفية للتاريخ يمكن الصعود بأصولها"(١).

وهذا الزمن يظهر في الماضي والأسطورة، إما أن تكون تواريخ غابرة، تأخذ بعدا أسطوريا غير محدد، يتوارد ذكرها على الألسن، وإما تاريخا حيا دقيقا، يشكل جزءا من حيات الكاتب، ومحيطه الاجتماعي، وظروفه السياسية والاقتصادية، وقد يكون من مظاهره الطلل الذي يمثل في جانب منه تقادم العهد على شخص ما، ومدة هذا الزمن الذي مر عليه.(٢)

و" يتوزع علم التاريخ والرواية على موضوعين مختلفين: يستنطق الأول الماضي، ويسائل الثاني الحاضر، وينتميان إلى عبرة وحكاية، بيد أن استقرار التاريخ والرواية في حقلين متغايرين لم يحل بالضرورة دون تحاورهما وامتداد العلاقة بينهما، ولم ينكر العلاقة بين التاريخ والإبداع الأدبي"(٣) ، إذ يعرف النقاد الرواية بأنها:" قصة خيالية خيالا ذا طابع تاريخي عميق"(٤). وهو ما يعني أن العلاقة وطيدة بين الرواية والتاريخ، و" تأتي هذه العلاقة من

(١) سالم يفوت: الزمان التاريخي، من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفعلية، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، بيروت، لبنان، آذار /مارس١٩٩١م.ص٨.

(٢) علي الغيضاوي: الإحساس بالزمان في الشعر العربي من الأصول حتى نهاية القرن الثاني الثاني للهجرة دراسة اتجاهات الشعراء العرب الزمانية، منشورات كلية الآداب بمنونة، ٢٠٠١م. ص٢٦٨-٢٦٩

(٣) فيصل دراج: الرواية وتأويل التاريخ نظرية الرواية والرواية العربية، ط٢، المركز الثقافي الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب٢٠٠٤م، ص٩.

(٤) مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية،دار القصبة، الجزائر، ط١ ٢٠٠٠م، ص٨٤.

طبيعة الفن الروائي الذي ينهض على تصور الواقعي والمعيشي تصويرا فنيا تحليليا."(١)

وعلى هذا يمكن أن نقول بين الرواية والتاريخ علاقة جدلية، فالظاهرة تكون محسومة، بطبيعتها من ناحية، وبما حولها من درس أدبي تاريخي مزدوج من ناحية أخرى.

- الزمن المطلق:

يمثل الزمن المطلق وعينا الخاص بالزمن ، فلا يخضع لمعايير خارجية أو مقاييس موضوعية "إنه ينحى عن الأشياء صفتها التاريخية ليجعل منها موجودات طبيعية لا تاريخ وراءها ... فيتقلص ما فيها من بعد أنساني ويموت مفهومها السياسي"(٢) ، فهو زمن لا محدود، خلافا للزمن الفيزيائي المقيد المحدود، لأنه زمن وجداني، تحدد الخبرة الإنسانية الذاتية أبعاده، فيتخطى الساعات والأيام والأجيال، ويختلط فيه الماضي بالحاضر بالمستقبل(٣).وهذا الزمن يخضع لقوانين العاطفة والخيال وتكريس المشاعر الإنسانية وإخضاعها لسلطة الروح.

ومن ثمّ فإن " وقائع الزمن المطلق تستقر في اللاوعي وتخضع لقوانينه ، لذا فهي قابلة لكل التحولات، وتسقط عندها الفواصل والحدود القائمة بين الذات والوجود الخارجي، فكل شيء ممكن ، والفعل هنا لا يخضع لمبدأ السببية، ولا تستوي له كل أسبابه في أرض التاريخ والواقع. وليس جزءا من عمل سابق وعمل لاحق ، أي انه لا قبل فيه ولا بعد، ولا صلة له بالعزيمة والإرادة والجهد، فهو كالفعل في السحر يكون بمجرد أن نريد له أن يكون، فكأن لفظه وحده هو

(١) عائشة بالطيب: الرواية والتاريخ عند واسيني الأعرج، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر – باتنة، ٢٠١٣م. ص٥٩.

(٢) عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن ودلالاته في الرواية العربية المعاصرة، ،الدار العربية للكتاب ، د. ط ، ١٩٨٨ . ص١٧.

(٣) د.جوزيف ميشال شريم:،دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ : ص ٣١ ، وعبد الرحمن بدوي : الزمان الوجودي، ، دار الثقافة – بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٧٣، ص٤.

كل ما يحتاج إليه لكي يحصل"(١)، لأن الوجدان في الزمن المطلق هو الملكة التي تدرك بها الشخصية والوجود ، بما هو عليه نسيجه المتوتر على حال العاطفة وقوة الإرادة. فهو زمن، وإن كان غير مألوف، ينتمي إلى عالمنا دون أدني شك.

والإدراك هنا لا يتم إلا في تجربة حية مباشرة، لا يراعي فيها نسبة بين ذات وموضوع، بل استبطان مباشر من الذات لنفسها(٢).

ويتميز هذا الزمن بأنه يعطي الراوي /السارد حرية مطلقة في الحركة دون قيود أو ضوابط، ومن ثمّ فإن هذا الزمن يجد تطبيقه – فيما نرى - في تجربتين، هما: التجربة الصوفية والتجربة العجائبية، وعلى هذا يمكن القول إن هذا الزمن أصل لفرعين، هما:

أ- الزمن الصوفي.

فالمتصوف يبدأ بنبذ الزمان والمكان بالمعنى الفيزيقي، ثم يحاول الفناء في زمان ومكان الذات نفسها ، للتوحد مع الذات العليا (الله)، وبلوغ الحقيقة والمعرفة التامة"(٣)

والزمن الصوفي – في جوهره- زمن شعوري، أخذ –عند المتصوفة- أبعاداً ميتافيزيقية من جهة ارتباطه بفكرة (التجلي الإلهي).(٤) ولأنه زمن شعوري فهو يختلف عن (الزمن الموضوعي) من جهة ارتباطه بإحساس الفرد وشعوره الداخلي. وهو ما عبروا عنه بقولهم: "الصوفي ابن وقته"(٥).

ومن خلال ارتباط الوقت بالتجلي الإلهي فقد ترسخ عند المتصوفة مبدأ "عدم تكرار اللحظة"؛ لأن "الله يتجلى في كل نفس ولا يكرر التجلي وكل تجل

(١) عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته، مرجع سابق، ص١٧.
(٢) عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي،مرجع سابق، ص٢٠٦.
(٣) زينة حزمة شاكر حمود: الزمن المطلق في الرواية العربية وأثره في المتلقي، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد (٢٣)، العدد(٤) لسنة ٢٠١٥، ص١٩٦٥.
(٤) فاطمة محمود أحمد عثمان، توظيف الصوفية في الرواية المصرية، رسالة ماجستير، مخطوطة مقدمة لكلية دار العلوم- جامعة المنيا،٢٠٠٤م، ص١٨٥.
(٥)محيي الدين بن عربي: الفتوحات المكية. السفر السابع – الجزء ٤١ – ص٧٣

يعطي خلقاً جديداً ويذهب بخلق"[١]. ومن ثم فكل لحظة هي لحظة فريدة إذا مضت لا تعود. وهذا ما يوجب على الصوفي "أن يراقب قلبه في كل آن ليقف على مدى استعداده الروحي؛ لأن قلب الصوفي –وهو مرآته التي يرى فيها تجلي الحق –يتغير في كل لحظة مع تغير التجلي الإلهي"[٢].

ب – الزمن العجائبي.

يمثل الزمن الطبيعي " الكرونوتوب (chronope)" خاصية جوهرية في إظهار العجائبي، وذلك عن طريق انفلاته من قبضة التحديد والتقويم المتعارف عليها، إضافة إلى خباياه المستمرة الأخرى، والتي تكشفها تصورات " جنيت" الفكرية حول الزمن.[٣]

الأمر الذي يجعل من الزمن العجائبي "بعدا فعالا يخضع للمسخ والتحول، وكأنه بطل من أبطال الحكاية العجائبية، لهذا تعددت استعمالاته، فهناك من جعل زمن قصته مفتوحا على الماضي أو المستقبل، وهناك من أخذ ينتقل داخله، وكأنه لا حدود فاصلة فيه بين مختلف الأزمنة، وهذا ما يعرف بالسفر في الزمن.[٤]

ويتميز الزمن العجائبي بأنه زمن ذو بنية ديناميةِ[٥]، تعمل على تحريك الأزمنة ، ومدها بحيوية، متمثلة في ما يسمى بالمفارقات الزمنية. من خلال الاستشرافات، وتعدد أنماط الأزمنة المكونة لبنية النص الروائي. وهو ما يعني

(١)محيي الدين بن عربي: فصوص الحكم. –الجزء ١- ص١٢٦

(٢) د. أبو العلا عفيفي: الجزء الثاني من: فصوص الحكم لمحيي الدين بن عربي (تعليقات المحقق). ص٢١

وانظر: فاطمة محمود أحمد عثمان، توظيف الصوفية، مرجع سابق، ص١٨٥.

(٣) سميرة بن جامع:العجائبي في المخيال السردي في ألف ليلة وليلة، رسالة ماجستير،منشورات جامعة الحاج لخضر – باتنة، الجزائر ٢٠١٠م، ص٦٠.

(٤) المرجع السابق، ص٦٠.

(٥) شعيب حليفي: مكونات السرد الفنتاستيكي، مجلة فصول، المجلد (١٢) ، العدد الأول، ص٨٧.

أيضا أن علاقات (الاستباق والاسترجاع) وعلاقات المد والتواتر تشكل الأساس المنهجي في ضبط ماهية الزمن.[١]

ومن الجدير بالذكر أن التجربة العجائبية قائمة على خرق قوانين الطبيعة والمنطق، ومن ثمّ، فهي التي تأسس زمنها الخاص بها، الذي يعكس في تجلياته منطق الحياة وقوانينها، الأمر الذي يكشف عن عدم محدودية الزمن العجائبي.

- الزمن الذاتي/النفسي:

يرى نقاد الرواية أن بين الزمن النفسي والذاتي ترادفا، ومن أجل هذا حين يذكر أحدهما فهو يشير ضمنا إلى الآخر[٢]. وهذا الزمن "يشكل في الرواية ركيزة أساسية من ركائز الإبداع، بما تضمنه من دلالات إيحائية وإشارات جمالية تعبر عن رؤيا وفكر ومشاعر، إلا أنها تختلف من كاتب لآخر، بما يمتلك من أدوات فنية قادرة على الغوص في عمق الشخصية، وتجسيد زمنها المرتبط في علاقة فنية مع زمن السرد وزمن الحكاية".(٣)

والزمن النفسي في الرواية، هو زمن ذاتي خاص لا تحكمه معايير الزمن الموضوعية الخارجية، إذ يسير بخطى مختلفة تبعا لاختلاف الأشخاص. ونظرا لكونه زمن ذاتي فهو يخضع في " تحليله للحالات الشعورية التي تعيشها الشخصية في النص الروائي؛ لأن الزمن النفسي زمن مطاطي يخضع في تمدده وتقلصه للانفعال والحالات النفسية والشعورية"(٤). فمن الثابت أن " كل إنسان يحمل في أعماقه عدادا داخليا يعير الوقت على هواه بصورة مناقضة ومختلفة عن عدادات الأشخاص الآخرين، وهكذا لا يوجد زمن واحد متجانس، بل توجد أزمنة متعددة بقدر ما هناك من بشر، وكل إنسان يبدع معياره الخاص به".(٥)

---

(١) فيصل غازي النعيمي: العجائبي في رواية الطريق إلى عدن، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية المجلد (١٤) العدد (٢) آذار ٢٠٠٧م، ص١٣٩.

(٢) يقول عبد الملك مرتاض في تعريف الزمن الذاتي: "وهو الزمن الذي يمكن أن نطلق عليه أيضا " الزمن النفسي". وقد علل ذلك بقوله:" وإنما أطلقنا عليه(الزمن الذاتي) لأن الذاتي مناقض للموضوعي". في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص٢٠٥.

(٣) مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، مرجع سابق، ص١٥٩.

(٤) المرجع السابق، ص١٥٩.

(٥) سمير الحاج شاهين: لحظة الأبدية، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، ط١، المؤسسة المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢١١.

الأمر الذي يعني أن الزمن النفسي /الذاتي زمن نسبي، يختلف من شخص لآخر، ومن ثمّ لا يمكن قياسه بزمن الساعة، وإنما يقاس بالحالة الشعورية، واللحظة النفسية التي تمر بها الشخصية. والمقطوع به أنه لا توجد لحظة مساوية لأخرى، " فهناك اللحظة المشرقة المليئة بالنشوة، التي تحتوي على أقدار العمر كله، وهناك السنوات الطويلة الخاوية التي تمر فارغة كأنها عدم".(١)

وإذا كانت الرواية الجديدة اهتمت بهذه الأزمنة بنائيا ودلاليا، فإن هناك تقسيمات أخرى للزمن ظهرت في دراسات النقاد العرب للرواية، لعل أبرزها كان عند سعيد يقطين، حيث قسم الزمن إلى ثلاثة أقسام، هي:

- **زمن القصة.**
- **زمن الخطاب.**
- **زمن النص.**

– زمن القصة (Le temps de lafiction):

يعرف بأنه " زمن المادة الحكائية في شكلها ما قبل الخطابي إنه زمن أحداث القصة في علاقتها بالشخصيات والفواعل (الزمن الصرفي)"(٢)، أي أنه المادة الخام، أو المادة الأولية التي يمتلكها الروائي.

–زمن الخطاب/ السرد (Le temps de la narration):

يعرف بأنه " الزمن الذي تعطى فيه القصة زمنيتها الخاصة من خلال الخطاب في إطار العلاقة بين الراوي والمروي له (الزمن النحوي)" (٣)وميزته أنه خطي، ولا يمكن لنظام ترتيب الأحداث في المادة القصصية أن يتطابق مع نظيره في الخطاب، حتى ولو بالغ المؤلف في محاولة إحداث تواز بين الزمنين.

---

(١) جمال عبد الملك: مسائل في الإبداع والتصور، ط١، دار الجيل، بيروت، سنة١٩٩١م، ص١٥٢.

(٢) سعيد يقطن: انفتاح النص الروائي (النص- السياق)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩، ص ٤٩.

(٣) المرجع السابق، ص٤٩.

- زمن النص:

ويقصد به" الزمن الذي يتجسد أولا من خلال الكتابة التي يقوم بها الكاتب في لحظة زمنية مختلفة عن زمن القصة أو الخطاب، والتي من خلالها يتجسد الزمنان: إنه " زمن الكتابة" وهو ثانيا، زمن تلقي النص لدى القارئ، في لحظة زمنية مختلفة عن باقي الأزمنة. وإن كانت من خلالها أيضا (زمن القراءة). إننا من خلال تعالق زمن الكتابة بزمن القراءة نجدنا أمام ما نسميه زمن النص"(١). بمعنى أن زمن النص مرتبط بإنتاج النص في سياق اجتماعي لساني محدد، يجمع بين زمن الكتابة وزمن القراءة في آن.

وهذا الزمن يعد زمنا خارجيا عاما، في حين يعد كل من زمن القصة وزمن الخطاب زمنا داخليا، يمكن تتبع كل منهما داخل النص السردي. كما يعد زمن القصة نواة أساسية لزمن الخطاب.

- مكونات الزمن الروائي:

الزمان حركة، وهي لذلك تفترض ثلاثة أبعاد: الماضي، الحاضر، المستقبل. الماضي كان مع الوجود من قبل، ولم يعد معه الآن. عاش ثم فجأة كف عن الحياة وانتهى. الحاضر هو الباقي مع الوجود أيضا. المستقبل هو الذي سيأتي بعد الوجود. ليس معه الآن، لكنه سيبدأ بعد حين.(٢)

ويعد الماضي أبرز الأنواع الثلاثة، ويتضح ذلك من خلال هيمنته على بنية الرواية، حيث إن الرواية " منذ كتابة أول كلمة يكون كل شيء قد انقضى. ويعلم القاص نهاية القصة. فالراوي يحكي أحداثا انقضت، ولكن بالرغم من هذا الانقضاء، فإن الماضي يمثل الحاضر الروائي."(٣)

وإذا كان الماضي سيطر على بنية الرواية التقليدية، فإن من مميزات الرواية الجديدة اهتمامها بالحاضر، وظهر ذلك من خلال " طريقة معالجة الزمن في الرواية، وإلى محاولات ابتكار أساليب وتقنيات جديدة للتعبير عنه، وتثبيت

(١) المرجع السابق، ص٤٩.
(٢) سمير الحاج شاهين، لحظة الأبدية، مرجع سابق، ص٧.
(٣) سيزا قاسم: بناء الرواية، منشورات مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م، ص٤٠.

الحاضر ومده."(١) والنظر كذلك إلى الزمن على أنه " لحظة حاضرة مترامية الأطراف يظهر فيها الماضي غير منظم وغير مرتب. وكلمة الحضور تعني الوجود الملموس والحي في نفس الوقت، أي الحاضر الزمني أو ما هو كائن."(٢)، ويأتي المستقبل في البنية الروائية بوصفه الابن الشرعي لتلاقح الماضي الحاضر أو العكس.

- قضايا متعلقة بالزمن الروائي:

ثمة قضايا تتعلق بالزمن في بنية النص الروائي، لعل أهمها، ما يأتي:

- الترتيب:

يعد الترتيب الزمني في النص الروائي من الأبعاد الجمالية المشكلة للنص السردي، ومن ثمّ وجد عناية فائقة لدى نقاد الرواية، واعتمدوه وجها معتبرا من أوجه التمييز بين الرواية التقليدية والرواية الجديدة. فإذا كانت الرواية التقليدية القديمة تسير وفق ترتيب زمني خطي أفقي في اتجاه واحد ينطلق من الماضي في طريقه نحو الماضي، ثم المستقبل، فإن الرواية الجديدة عملت على تكسير هذه السيرورة المتوالية، من خلال تأخير بعض الأحداث، وتقديم البعض الآخر، مما أحدث تعرجات زمنية ظاهرة في النص السردي الحديث. " فالتزامن في الأحداث يجب أن يترجم إلى تتابع في النص، ويتطلب ظهور كل شخصية جديدة عودة إلى الوراء لكشف بعض العناصر الهامة، وربما الاحتفاظ ببعض العناصر لكشفها في زمن لاحق".(٣) الأمر الذي أسهم في منح النص السردي طابعا جماليا وفنيا، من خلال ما يخلقه هذا الانزياح الزمني منإثارة وتشويق.

وكان ظهور هذه التعرجات الزمنية، القائمة على التقديم والتأخير مبعثا لظهور قضية أخرى متعلقة بالزمن الروائي، وهذه القضية عرفت " بالمفارقة الزمنية".

(١) المرجع السابق، ص٤١.
(٢) المرجع السابق، ص٤١.
(٣) المرجع السابق، ص٥٤.

- المفارقة الزمنية:

يقصد بالفارقة الزمنية عند جيرالد برانس " عدم توافق في الترتيب بين الترتيب الذي تحدث فيه الأحداث، والتتابع الذي تحكى فيه، فبداية تقع في الوسط يتبعها عودة إلى وقائع حدثت في وقت سابق تشكل نموذجا مثالا للمفارقة. في علاقتها باللحظة الراهنة، فإنها اللحظة التي يتوقف فيها الحكي المتساوق مع الزمن لمساق ما يتيح نطاقا لها. يمكن أن تعود بنا إلى الماضي (retrospection الاستعادة /analepse الاسترجاع/flashback اللفظة الاسترجاعية) ولها مدى أو امتداد معين، فهي تغطي مدة معينة من زمن القصة، وكذلك بعد معينا ".(١)

وعلى هذا، يمكن القول إن المفارقة الزمنية هي كل عدول يصيب الترتيب الزمني للنص السردي(زمن القصة وزمن الخطاب) سواء أكان عن طريق التقديم أم التأخير أم الحذف.

وعلى هذا، فدراسة المفارقة الزمنية في أي نص سردي، يقتضي "مقارنة نظام ترتيب المقاطع الزمنية في الخطاب الروائي بنظام هذه المفارقات والأحداث نفسها في زمن القصة بغية الكشف عن أشكال الاختلاف في هذين النظامين، وجدوى حضورها في إبراز السمات الجمالية الشعرية للرواية".(٢) كما تقتضي كذلك وجود كل من الراوي والمروي والمروي له، إذ الراوي هو صانع المفارقة، والمروي يمثل البنية الزمنية المفارقة، والمروي له هو الذي يعتمد عليه في إعادة إنتاج الرواية، وترسم خطها الزمني. ولا يخفى الأثر الجمالي للمفارقة في النص لما تحدثه من كسر توقع المتلقي، الأمر الذي يصيبه في كثير من الأحيان بالصدمة والمفاجأة.

وهذه المفارقة الزمنية بطبيعة الحال تقوم على عنصرين مهمين، هما:

(١) جيرالد برنس، المصطلح السردي، مرجع سابق، ص٢٤.

(٢) عرجون الباتول: شعرية المفارقة الزمنية في الرواية الصوفية، التجليات لجمال الغيطاني أنموذجا،رسالة ماجستير، منشورات كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر(د.ت) ، ص١٢.

- الاسترجاع

مفارقة زمنية تعيدنا إلى الوراء بالنسبة للحظة الراهنة، استعادة لواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة(أو اللحظة التي يتوقف فيها القص الزمني لمساق من الأحداث ليدع النطاق لعملية الاسترجاع).." (١) وعلى هذا يقوم الاسترجاع على توظيف الذاكرة توظيفا فنيا من شأنه أن يخدم النص لا أن يمثل عبأ عليه.

ويعد الاسترجاع" دائرة النص من خلاله يتحايل الراوي في الرواية على التسلسل الزمني، إذ ينقطع زمن السرد الحاضر ويستدعي الماضي ليصبح جزءا لا يتجزأ من نسيجه".(٢)

ولأن الاسترجاع قائم على الماضي، والماضي يتصف باختلاف مستوياته وتفاوتها، من ماض قريب وآخر بعيد، فقد اتفق معظم الباحثين على تقسيم الاسترجاع على ثلاثة أقسام، هي:

- استرجاع داخلي.

- استرجاع خارجي.

- استرجاع مختلط.

ويشير الأول إلى عودة الراوي إلى ماضٍ لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص. أما الثاني فيشير إلى عودة الراوي إلى ما قبل بداية الرواية، في حين يشير الثالث إلى ما يجمع بين النوعين. أي يختلط فيه الداخلي بالخارجي. (٣)

ويعد الاسترجاع بأقسامه المختلفة من أهم التقنيات السردية التي تظهر في الرواية عامة، وفي روايات الغيطاني خاصة كما سيأتي.

- الاستباق.

مفارقة تتجه نحو المستقبل بالنسبة إلى اللحظة الراهنة(تفارق الحاضر إلى المستقبل)، إلماح إلى واقعة أو أكثر ستحدث بعد اللحظة الراهنة (أو اللحظة التي يحدث فيها توقف للقص الزمني ليفسح مكانا للاستباق)..، والاستباق له

(١) جيرالد برنس، المصطلح السردي، مرجع سابق، ص٢٥.
(٢) عرجون الباتول، شعرية المفارقة الزمنية، مرجع السابق، ص٥٢..
(٣) سيزا قاسم، بناء الرواية، مرجع سابق، ص٥٨ بتصرف..

مدى أو نطاق محدود (فهو يغطي مدة محددة من زمن القصة)، وله أيضا بعد محدد".(١)

وهذا النوع من المفارقة نادر الاستعمال بالمقارنة مع اللاحقة " لأنها تتنافى وفكرة التشويق التي تكون العمود الفقري للنصوص السردية الكلاسيكية، التي تسعى جادة نحو تفسير اللغز، في معرفة مآل الأحداث، إلى أن تحين الفرصة المواتية لذلك." (٢)و بهذه الطريقة يبقى دائما القارئ خصوصا، و المتلقي عموما في حالة ولكن لا مجال للتمهيد لها و الإعلان عنها؛ لأن" ثم ماذا " انتظار و تساؤل انكشافها لن يكون إلا في وقتها فيفاجأ المتلقي بالتطورات الغير منتظرة (٣).

فهذه التقنية لا تهتم بالتشويق السردي الذي عرفته الرواية الكلاسيكية والتي لا تنسجم مع التخيل التقليدي للسارد الذي يبدو أنه يكتشف قليلاً أو كثيراً القصة في الوقت نفسه الذي يحكيها فيه. و" الشكل الوحيد الذي يستطيع الراوي فيه أن يشير إلى أحداث لاحقة هو شكل الترجمة الذاتية أو القصص المكتوبة بضمير المتكلم، حيث أن الراوي يحكي قصة حياته حينما تقترب من الانتهاء ويعلم ما وقع قبل و بعد، لحظة بداية القص و يستطيع الإشارة. إلى الحوادث اللاحقة دون إخلال بمنطقية النص و منطقية التسلسل الزمني" (٤)
وينقسم الاستباق على ثلاثة أقسام(٥)، هي:

- الاستباق الداخلي:

يعد الاستباق الداخلي سيرا إلى الأمام و الإشارة إلى وقائع سوف تحدث فيما بعد، مع ذلك يبقى داخل الحقل الزمني للأحداث السردية الحاضرة في

(١) المرجع السابق، ص١٨٦.
(٢) المرجع السابق، ص٢٥.
(٣) عرجون الباتول، مرجع سابق، ص٧٦.
(٤) سيزا قاسم، مرجع سابق، ص٢٥.
(٥) ذهب بعض الدارسين إلى تقسيم الاستباق إلى سبعة أقسام، مستخدما كلمة توقع بدلا من استباق، هي :(توقع داخلي، توقع خارجي، توقع ذاتي، توقع موضوعي، توقع مؤكد، توقع زائف، توقع متمم). انظر: عرجون الباتول، مرجع سابق، ص٧٧-٧٨.

الرواية و لا يتجاوز مداه الحكي الابتدائي. و هو أكثر أنواع الاستباق استعمالاً(١).

- الاستباق الخارجي:

وهو سبق للأحداث يتجاوز مداه الحكي الابتدائي، فهو مقصور على الاستباقات التي تبقى في جميع الأحوال ،وكيفما كان مداها خارج النطاق الزمني للمحكي الأول، تخالف بذالك الاستباقات الداخلية التي تبقى محجوزة داخل الحكي الأول غير قادرة على تجاوزه.يعرفها عبد العالي بوطيب بأنها " عبارة عن استشرافات مستقبلية خارج الحد الزمني للمحكي الأول على مقربة من زمن السرد أو الكتابة دون أن يلتقيا طبعاً، وهو أقل استعمالا بالنسبة للصنف الثاني" (٢) أي الاستباق الداخلي الذي أشرنا سلفاً أنه يستعمل بكثرة في الخطاب الحكائي.

- الاستباق المختلط:

يعد الاستباق المختلط أقل أنواع الاستباق تداولاً، مثله مثل الاسترجاع المختلط، وقد قلت الدراسات التي تشير إلى الاستباق المختلط وربما يرجع ذلك إلى ندرة استعماله في الخطاب الحكائي، ويسمى ممتزجاً لأنه يمزج بين النوعين.

وفي النهاية، فإن كلا من الاسترجاع والاستباق يمثلان معا" عصبة المفارقة السردية، ذلك أن السرد الاستذكاري حركة تتجه إلى الخلف، والسرد الاستشرافي حركة تتجه نحو المستقبل، وكلا الحركتين المتعاكستين تتخطى الزمن الحاضر، فالحركتان تخلخلان النظام الزمني للرواية، وتكسران الرتابة، والتسلسل الخطي".(٣)

وقبل معالجة الزمن في رواية هاتف المغيب، نلقي الضوء على فاعلية الزمن عند جمال الغيطاني كاتب الرواية.

---

(١) عرجون الباتول، مرجع سابق،ص٧٦.

(٢) عبد العالي بوطيب: إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول، المجلد (١٢)، العدد الثاني ١٩٩٣،ص١٣٦.

(٣) صالح مفقودة: نصوص وأسئلة " دراسات في الأدب الجزائري"، هومه، ط١، الجزائر، ٢٠٠٢م، ص١٦-١٧.

فاعلية الزمن عند الغيطاني :

يمكن القول بداية إن الزمن عند الغيطاني يعد أحد أهم الشخصيات الاعتبارية في أعماله الروائية، بل في حياته الواقعية.يقول الغيطاني عن انشغاله بالزمن :" منذ زمن بعيد وأحد همومي الأساسية قضية الزمن، وكان أحد الأسباب القوية التي جعلتني أتجه إلى التاريخ بمراحله المختلفة، والتاريخ عندي هو الزمن، الزمن الجبار القاهر، المحيي، المميت، في صيرورته الرهيبة. والذي يحولنا باستمرار إلى الماضي، الذي يجلب الذكرى والنسيان، منذ زمن بعيد وأنا أتأمل الزمن، وأمعن التفكير فيه، بدءا من الحركة الميكانيكية البسيطة للثواني والدقائق والساعات، إلى حركة الأفلاك، توالي الليل والنهار، إلى انقضاء السنوات، إلى الميلاد والموت، التاريخ عندي هو الزمن المنقضي، المنتهي، لا فرق بين لحظة مضت منذ ثوان، ولحظة مرت على انقضائها آلاف أو ملايين السنين، كلاهما لا يمكن استعادته"(١). وقد تأكد له بعد مطالعة الفكر الإنساني القديم، في الأساطير، في الدين، في الفلسفة، أن ثمة حقيقة مؤكدة " وهي أن الشيء الوحيد في هذا العالم الذي لا يمكن قهره أو مقاومته أو التصدي له، هو الزمن،..، وكما أفضل أن أسميه " الدهر" من قناعات أن الكون لم يوجد عبثا، هناك قوة تنظمه وتسيره، من تأملاتي الخاصة أصبحت مقتنعا أن الدهر هو الله، وفوجئت عند قراءاتي ابن عربي وغيره أن هذه الفكرة تتردد و" الدهر" أحد أسماء الله الحسنى، بل ص١٥١ إنه الاسم التاسع والتسعين، أي الاسم الأخير. وهناك حديث للرسول محمد، يقول" لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله".إنني لست متصوفا في سلوكي، غير أنني أعتبر نفسي قريبا إلى رؤية الإسلاميين للزمن، الدهر، وكثير من معاناتي الداخلية وجدت تعبيرا عنها في هذا التراث، ومن هنا فإن معاناتي الداخلية كانت أساسا في التوجه إلى هذا التراث، ولم يكن الأمر لمجرد البحث عن تكنيك، ..." إن الدهر هو همي الأساسي، الدهر بكل مسمياته بدءا من اللحظة الآتية إلى الزمن القديم والمقبل والعصر والحقبة، وكل هذه المسميات اسم لشيء واحد لا يقهر، لا أول

(١)جمال الغيطاني: جدلية التناص،مجلة ألف، عيون المقالات ، العدد(٢) أبريل١٩٨٦م، ص١٥٠.

ولا آخر، مجهول الكنه على الرغم من أننا نرى ملامحه وعلاماته في كل ثانية تمر بنا." (١)

ويربط الغيطاني بين الفن والزمن، يقول:"وإذا تأملنا تاريخ الفن خاصة في العصور القديمة، فإننا سنجد جوهرها محاولة قهر الفناء، محاولة قهر الزمن الذي لا يرى بالمادة أحيانا، كالهرم الأكبر، أو بالسيرة العطرة. أو تخيل أن هناك عالما آخر فيه حياة أخرى، وعندما كانت الحضارة تصل إلى ذروتها كان التعبير عن الرغبة في الخلود يصل إلى ذراه أيضا".(٢)من هنا يرى أن الفن هو بمختلف صوره وأنماطه هو الوحيد القادر على مواجهة الزمن، وعلى هذا يؤكد الغيطاني على أن"الأشواق الإنسانية ستصير إلى عدم لولا الفن، والحياة الإنسانية ستضيع ملامحها لولا الفن، إن الفن بأوجهه المختلفة هو المحاولة الوحيدة الصادقة التي يبذلها الإنسان في هذا الكون أمام هذه القوة التي لا راد لها،.لكي يقاوم الفناء والعدم". (٣)وعلى هذا يمكن القول إن الزمن عند الغيطاني يمثل مركزا في العمل الإبداعي روائيا كان أو قصصيا، منه ينطلق وإليه يعود.

- الزمن في رواية هاتف المغيب:

تخضع رواية " هاتف المغيب" إلى دائرية الزمن، حيث إن أحداث الرواية تبدأ بشيء من أحداث النهاية، ثم يرجع إلى أحداث البداية لتنطلق منها في دورة زمانية جديدة نحو النهاية مرة أخرى. وهي دورة يتداخل فيها الماضي بالحاضر والمستقبل.

فالنص السردي يبدأ بانتهاء الرحلة، ووصول بطل الرواية إلى نهايتها المتمثلة في الوصول إلى الغرب الذي يمثل مغيب الشمس، ومن ثم فإن كل أحداثها قد وقعت بالفعل، ويعمل الراوي من خلال فعل القص على استرجاعها مرة أخرى، يتضح ذلك من بداية النص الروائي الذي يبدأ بالفعل الماضي(حدّث) في قوله:" حدث جمال بن عبدالله كاتب بلاد الغرب فقال: المؤكد أنه جاء من

(١) السابق، ص١٥٠.
(٢)السابق، ص١٥١.
(٣) السابق، ص١٢٥.

المشرق، لم يرد إلينا أي إنسان من جهة الغرب، لو وقع ذلك لصار حدثا عجيبا، ديارنا آخر حد العمار اليابس، نقف على حافة المحيط الأعظم، بحر الظلمات، لم يصل إلى ضفته الأخرى أحد وعاد ليقص علينا ما رأى، لكن..لم يحل ذلك بين البعض وقصد المجهول".(١)فالزمن هنا يبتدئ من حيث كان قد انتهى.

معنى هذا أن الرحلة قد اكتملت، وأن ما يدون استرجاع لمشاهداته، وما مر به من أحداث، وما ألمّ به من أمور. وهو ما يعني أيضا أن الرواية تنطلق من زمن ما بعد الرحلة، أي بعد بلوغه بلاد المغرب، و " بعد انتهاء عزلته الإرادية التي دامت أربعين يوما، وبدء حديثه إلى القوم وإخباره عن أمور عاينها وأراض عبرها، وأزمنة تجاوزته وبلاد أقام بها، وجاه أتاه على غير توقع، وسلطة بلا حد زالت عنه، ونساء عرفهن لا مثيل لهن، ومشاهدات غريبة لم يسم بمثلها". (٢)

ولما كان ما يروى هو استدعاء لرحلة من الذاكرة، فقد كان النسق الدائري هو النسق الزمني المسيطر في هذه الرواية، وذلك بالعودة إلى الوراء، إلى نقطة الانطلاق الأولىفهذا النسق يتعامل مع الزمن "على أنه ليس مجرد لحظات متلاحقة، وإنما هو تركيب دائري، فتنتهي الدائرة إلى حيث بدأت في الحس الزمني عند الفرد"[٣].

ويتضمن هذا الزمن الدائري أزمنة أخرى، هي:

الزمن التاريخي:

حيث حدد الغيطاني بداية الرحلة التي قام بها " أحمد بن عبدالله" بطل الرواية بزمن معين وتاريخ محدد، وذلك في قول الراوي: "وكان خروجه عن موطنه جرى يوم الأربعاء، التاسع من مايو، منذ خمس وأربعين سنة وربما خمس وخمسين، أو خمس وسبعين..المدى بعيد والأمر مختلط، صعب القطع وعر التحديد والإلمام"(٤).

(١)جمال الغيطاني، رواية هاتف المغيب ص٥.
(٢)الرواية، ص٩.
(٣)جبرا إبراهيم جبرا، ينابيع الرؤيا– المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط١- ١٩٧٩ص٦٦.
(٤)الرواية، ص١٢.

وهذا التحديد الزماني، فيما يبدو هو تحديد مخادع؛ لأن الزمن الفعلي في الرواية، والذي يمثل الزمن التاريخي يزيد عن عشرة قرون، وهذا ما نرصده من خلال الإشارات الواردة في النص، حيث يذكر الرواي أن بطل الرواية (أحمد بن عبدالله) رأى في " واحة أم الصغير" قصاص الأثر، الذي حارب "تحت لواء الصحابي أبو لبابة الأنصاري عند زحفه غربا، بل عاش زمن الرسول الكريم وسمع عنه مباشرة، وأنه سعى في القرون التالية البخاري ومسلم وابن حنبل والدار قطني وأبي زرعة، وأبو إسحاق الجورجاني، والنسائي، وابن خزيمة ، والجامي، والعطار، وغيرهم. بل إن أبا هريرة نفسه سأله واستوثق منه، أما البخاري فسافر من سمرقند على مرسية في بلاد الأندلس حيث أقام مدة لا يعرفها أحد. جاء من أقصى المشرق إلى المغرب ليستفسر عن صحة حديثين منسوبين إلى الرسول، اختلف الرواة حول موضع لفظين فيهما، قدمهما البعض وأخرهما ثقاة...قاد جمعا من الصوفية اندفعوا لقتال التتار...يؤكد آخرون أنه كان آخر المنسحبين من غرناطة قبل تسليمها إلى ملك قشتالة، كاد يلقي حتفه في مرج دابق شمال حلب".(١)

فهذا الرجل وافد من زمن قديم فـ" حتى زمن قريب كان يحدث عما شاهده ورآه عبر قرون عديدة، من عاصرهم وحاورهم وحضر مجالسهم، خلفاء وفقهاء وأرباب جاه ودراويش جوالة، وبناة عمائر ومزخرفو مساجد، بنايات، جال طويلا قبل استقراره في الواحة"(٢).

كما تردد حول قصاص الأثر أقاويل،" أكثرها تواترا أنه قديم جدا، أطول عمرا من أي تقدير، وعندما حارب في بدر وأحد لم يكن غضا أو في مقتبل العمر، إنما كان مكتملا، قادرا، يبدو أنه شهد عام الفيل، ونام ليلتين في قصر عمدان، كما رأى العمال يضعون أساس الخورنق".(٣)

(١)الرواية، ص٧٠-٧١.
(٢)الرواية، ص٧١.
(٣)الرواية، ص٧٤.

وهذه الإشارة الأخيرة تشير إلى أن قصاص الأثر ينتمي إلى العصر الجاهلي فهو ممن عاصروا تشييد قصر" الخورنق"، وهو قصر النعمان بن المنذر، الذي شيد في العصر الجاهلي، وورد ذكره في أشعار القدماء(١).

قال الشاعر الجاهلي " المنخل اليشكري":

فإذا سَكَرْتُ فإنني ربُّ الخوَرْنقِ والسَّدَيرِ

كما نجد إشارات إلى عصر النبوة العصر الأندلسي وعصر المماليك وانتهاء دولتهم على يد العثمانيين، كذلك ما تعلق بالأحداث السياسية التي مرت بها مصر المملوكية حيث " سادها وهن واضطراب، وعمت قلائل بسبب تولي أمور البلاد سلطان ضعيف، شاحب التجربة، واهن العزيمة، مال إلى مصاحبة الفساق، وتدخين الحشيشة في القوارب النيلية،.."(٢). ثم يقفز بنا إلى العصر الحديث عندما يشير إلى" التاسع من مايو عام ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين."(٣)

ومثل هذا الامتداد الزمني الذي غطى قرابة العشرة قرون، جعل من القفز الزمني والاختزال ضرورة ملحة، وأمرا لا محيص عنه:" منذ خمسة قرون انتظر أهل الإقليم في الخلاء تسعين سنة بالتمام والكمال".(٤)

إذن، فالزمن التاريخي غير محدد، ومن ثم لا نستطيع أن تحديد مسرح الفعل في الرواية. وأن الغيطاني تعمد تضليل القارئ بخصوص زمن الأحداث، وأن التاريخ الذي ذكره وهو " التاسع من مايو عام ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين"، هو تاريخ مولد الكاتب نفسه، كما ورد في بطاقة التعريف بالمؤلف في آخر صفحات الرواية المطبوعة. مما يعني أن المؤلف يتوحد مع بطل الرواية، ويقدم سيرته الذاتية. ويزداد الأمر وضوحا عندما يركز " أحمد بن عبدالله" بطل الرواية على معاناته في السجن زمن الاعتقال، وهو ما حدث للمؤلف نفسه. جاء على لسان الراوي:" كل الشدائد تهون إذا تلقاها الإنسان

(١) البيت من مجزوء الكامل، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، دار الحديث،القاهرة١٤٢٣ هـ، ٣٩٣/١.

(٢)الرواية، ص١٠٦.

(٣)الرواية، ص١٢.

(٤)الرواية، ص١٣١.

بين جمع، لكنها تعظم إذا قابلها منفردا، من هنا عرف الحكام قساوة قلوبهم.."(١)

وفيما يبدو أن تعلق الغيطاني بالتاريخ كان له أثره في محاولة " توظيفه في كل أعماله الروائية، بأساليب متنوعة وأقدار متفاوتة، يصدر عن وعي بحركة الزمن العاتي المدمر الذي لا يقهر، كما أن التاريخ بالنسبة له هو الزمن"(٢).

– الزمن العجائبي:

يظهر الزمن في هاتف المغيب مختلفا عن الزمن الطبيعي، حيث تحفل الرواية بكثير من الأزمنة العجائبية، منها ما يقوله الراوي:" الليل ينزل بغتة في الواحة، ربما تبدأ العتمة في ذروة الضوء، عند الظهر تلمع النجوم". وقوله:"شرقت الشمس في لحظة غروبها كما بدا للبعض." (٣)

كما نرى في الرواية " أحمد بن عبدالله" يخرج من واحة أم الصغير فيمضي عليه في الطريق زمن، ويظنه هو ساعات، حتى يدخل المملكة العجيبة التي ستجعله حاكما عليها، وحين يسأل أهل المملكة عن الواحة، يندهشون، إذ لا توجد واحات على مسيرة شهور منهم."(٤)ولا شك في أن هذا الاختلاف في تصور مفهوم الزمن يخلق نوعا من الارتباك والحيرة عند بطل الرواية والمتلقي على حد سواء. إذ أيعقل أن تكون له قدرة خارقة مكنته من التنقل عبر الزمن!!

ولا شك في أن البنية الدينامية والحيوية للزمن المطلق تكون أكثر فاعلية في النصوص العجائبية ، حيث يتموضع الزمن وسط أحداث فوق طبيعية ، فيصبح بعدا فاعلا يخضع للمسخ والتحول، فهو في المحكي ألعجائبي عصب الحدث(٥).

---

(١)الرواية، ص٥٣.

(٢)إبراهيم الفيومي، الحداثة من خلال التراث قراءة في رواية هاتف المغيب، مجلة المصائر، ص١٣.

(٣)الرواية، ص٦٧.

(٤)يوسف زيدان، التقاء البحرين، مرجع سابق، ص٧٢.

(٥)زينة حمزة شاكر حمود،الزمن المطلق في الرواية العربية وأثره في التلقي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية. م٢٣ ع٤ لعام٢٠١٥، ص١٩٦٨.

- الزمن الصوفي:

نستطيع أن نقول إن الرحلة في هاتف المغيب هي رحلة صوفية، يقوم بها المريد بغية الوصول إلى اليقين، المعرفة. ولكي يصل إلى هذه المعرفة عليه أن ينتقل من حال إلى حال، ومن مرحلة إلى مرحلة أخرى، ولا بد للمريد من دليل، وهو ما تمثل في " الحضر موتي"، ومن ثم فإنها تخضع للزمن الصوفي الذي لا يخضع لوسائط الزمان أو المكان، حيث يموت دفق الوقت أو الزمن بأقسامه الثلاثة، ويتحول براح الزمان إلى لحظة واحدة طويلة متصلة ممتدة بامتداد الدهر، وحيث تقع الشخصية في غيبوبة السبح في المطلق عبر نسيج العالم الرمزي الموازي للعالم الواقعي أو الأسطوري دون أن يكون لها دورحيوي مؤثر على مستوى الفضاء السردي(١) ويتجلى الزمن الصوفي في قول أحمد بن عبدالله للقيم مستشار الرأس في الإقليم:" إن خطوي لا يحسب بالزمن الذي يعرفه الخلق، فما يبدو أنه استغرق ثلاث ساعات أو أربع ساعات، يمكن أن يعادل بالحساب البشري أربعين أو ثمانين سنة"(٢) وقوله:" اللحظات المولية والقادمة..تماما كالمحيط، بمقدار التحديق وإطالة النظر يمكن الاطلاع على ما يبغي". (٣)

ومن ذلك أيضا قوله:" الجمع بين لحظتين مستحيل، بقدر ما يفصل المسافة بين نقطتين في المكان، بقدر ما يتباعد الزمان، ما من لحظة واحدة تحتوي الكون المحسوس، ما يكون هنا ليس في عين الوقت، التماثل منفي والاختلاف بين، أما اليقين فمستعص عليّ، مع كر الليالي تنفد المئونة ويعسر الخطو."(٤)

وقد سبق الحديث عن قصاص الأثر الذي اخترق الزمن المألوف، فكان رمزا للخلود وللحماية، وللتجدد، وللخصوبة، وللبركة: " كان ماثلا بوجوده المادي بينهم، لكنه خارج الزمان، لا يطل عليه أحد، المألوف الإنساني، حضوره قائم بذاته، فلا يقارن به أحد، ولا يقاس بعمره زمن، أو ظاهرة

(١) عبدالله الغزال، الصوفية في النص الروائي بين التباس المفهوم وأهلية التحقق. مقال على الشبكة العنكبوتية http://www.kasnazan.com/article.php?id=901

(٢)الرواية، ص١٨٠.

(٣)الرواية، ص٢٩٠.

(٤)الرواية،ص٢٢٩.

نادرة الحدوث، أو ميلاد طفل أو موت عزيز. عموما لدى الجماعة يقين أن وجوده يقي الواحة ثلاثة أخطار.."(١).

وعلى ذلك يمكن القول: إن الزمن الصوفي في هاتف المغيب زمن مطلق، فهو كأنه ينبوع تدفق لا يعرف أحد متى بدأ، ولا يعرف أحد متى ينتهي، بل لا ينتهي أبدا، لأنه لم يبدأ أبدا.

- الزمن النفسي:

لكل إنسان زمنه النفسي الذي لا يتقاسمه معه أحد، وهو يخضع دائما للنسبية، وعلى هذا فإن الزمن النفسي هو: "الزمن الذاتي المتصل بوعي الإنسان ووجدانه وخبراته، فهو نتاج تجارب الأفراد، وبطبيعة الحال هذه التجارب تختلف من فرد لآخر، كما أن الزمن النفسي لا يخضع لقياسات وضوابط مثلما هو الزمن الطبيعي، لذا فإن الزمن الإنساني يتجلى من خلال الزمن الطبيعي كإطار خارجي، والزمن النفسي كمحرك داخلي(٢)".

في هذه الرواية يمكن القول إن اهتمام الكاتب بالزمن يعود إلى انشغاله بالموت، وإدراكه أن اللحظة الهاربة لا تعود أبدا،" ارتبط بها زمنا جميلا غير مستعاد".يقول:" إنني أول ما واجهت الموت زمن غضاضتي الأول، عندما كنت أسبق بعض الصبية جريا، قبل أن يلحقني ما أقعدني ونال مني، عصر يوم علاج علا صراخ من البيت المجاور، لزمت مكاني خوفا ورهبة. قال أبي حزنان أسفا: إن الشيخ حسن بن علي الفزاني طلع منه السر الإلهي، لم أفهم ماذا يعني ذلك؟ لم يطف الغياب الأبدي بذهني قط حتى بداية عقدي الثالث وإذ أصغي على حديث الموت يداخلني يقين أنه مدرك الكافة عداي. لكنني عرفت الخوف من الفقد، كنت أترقب عودة أبي من الديوان، خاصة أن موعد ظهوره على رأس الزنبقة لم يتغير إلا فيما ندر، فإذا تأخر خرجت إلى الشارع أتطلع، خوف غامض يرجف قلبي، ألا ظهر ، ألا تهل طلعته، ألا أشم رائحة ملابسه، ..، مما أقضني مجرد

(١)الرواية، ص٧٩.

(٢) جويدة يحياوي : البنية الزمانية والمكانية في رواية زقاق المدق، رسالة ماجستير، مخطوطة، كلية اللغات والآداب، جامعة بوضياف- المسيلة، الجزائر٢٠٠٥م، ص٥.

خاطر قدوم المغيب وتأخره، لكن أن أفكر في احتمال غيابه الأبدي فهذا ما لم يخطر على عقلي.."(١)

في هذا المقطع يفتتح الغيطاني حال فوته، بالارتداد إلى زمن الطفولة، وتوقفه عند موت الشيخ حسن بن علي الفزاني، الذي مثل بالنسبة له بداية إدراكه معنى الفوت/ الفقد، حيث يحكي عن بداية تعرفه على الموت، وبداية تشكل هاجس الخوف من الموت.

ولا شك في أن انشغال الغيطاني بالموت ازداد بعدما أصاب قلبه اعتلال، مما أدى إلى إجرائه جراحة خطرة، وكان لهذا المرض سببا في إحساسه الدائم بدنو أجله، وهذا ما ظهر في أغلب أعماله الروائية. فهو دائم التأسي عن مصيره بعد الموت، ومن ثم فإنه دائما ما يتخطى تفكير عالمه الحقيقي إلى عوالم الغيب. يقول الراوي:" ما أنا إلا محكوم عليه بالعدم عندما أصل منتهاي تبدأ رحلتي، كينونتي الحقة" (٢)

الحركة – والحركة تعني الزمن- عند الغيطاني تعادل الحياة، في حين التوقف يعادل الفناء، يقول:"..كان واثقا أن ثمة نقطة ينتهي عندها انفراده الكوني هذا، لم يكن بوسعه الكف حتى لو غلبه نصبه، التوقف يعني الفناء المؤكد. قال الحضرموتي إن أخطر ما يمكن أن يواجهه المسافر بحرا أو برا هو التوقف، الكف.."(٣) والفوت عند الغيطاني " شعور مرير بتدفق الزمن، هذا التدفق الذي تفقد فيه الذات الشاعرة ما حولها، ثم تفقد هي في النهاية..فهو علاقة بزماننا المحسوس الذي يعلن جريانه الدائم عن حتمية رحيلنا، بلا ارتداد إلى الوراء، بل: بلا توقف".(٤)

ولخطورة الحركة، ذكر "أحمد بن عبد الله" بطل الرواية أن أهل الواحة:" عرفوا الإسلام منذ أمد غير بعيد، أربعة عشر جيلا، من قبل عبدوا دورتي الشمس والقمر، ظهورهما، اختفاءهما، يقولون، ما يهلكنا وما يشقينا وما يسعدنا إلى تلك الحركة، وما يترتب عليها من مرور وقت. ومن حكاياتهم

(١)الرواية، ص٢٥٦.
(٢)الرواية، ص٢٧٦.
(٣)الرواية، ص٥٨.
(٤)يوسف زيدان: التقاء البحرين، مرجع سابق، ص٥٤.

المتوارثة أن أحد عقلائهم شرع في تدبير يبطئ به حركة الفلك تمهيدا لوقفها عند حد معين، وبالتالي تحقيق الأزلية لسائر الموجودات. أعد أحجبة مثلثة وأخرى مربعة، ودفن في الرمال أواني صغيرة ضمت أجزاء من أجسام حيوانات وخصلات شعر إناث لم يمسسهن ذكور، تلا تعاويذ وتمائم، ولم يكن هذا كله إلا مقدمة لعمل كبير لم يفصح عنه يؤدي إلى ما عزم عليه.."(١)

وكأن الغيطاني هنا يصور ما يعتمل بنفسه من إحساسه بدنو أجله، ومن ثم فهو يتمنى أن يأتي من يبطئ الزمن، أن يوقفه عند حد معين، وكأنه ينشد الخلود، ولكن هيهات! ويبدو أن بعض الأمنيات المستحيلة كانت الشغل الشاغل لبطل الرواية أحمد بن عبد الله، إذ يقول:" لم يهلكني إلا الحنين إلى ما لا يمكن إدراكه".(٢)

ويعد الفجر عنده أهم الأوقات؛ لأن فيه يحدث اقتران البداية والنهاية في الحياة والموت، (٣) فمعظم الأحداث الجسام في الرواية حدثت فجرا. فقد كان خروجه من موطنه " فجرا"، كما كان يأتيه الهاتف فجرا.

"ارتبط الفجر في ذهن وذكريات "أحمد بن عبدالله" بالموت والحياة..بموت أبيه وأمه وخاله وعمته، وأيضا بميلاد كثير من معارفه.. ارتبط الفجر في فكره ووجدانه بالحرب وطلب العلم، ومطالعة آيات العالم من جمال وتفرد، ورؤية جبال وبحار وأنواع حيوان وغريب نبات، وامتزاج اللحظات وتفرد أوقات، ويفلت بعضها فيبقى مع صاحبه ولا يفنى إلا معه، سفر من أجل العبادة وزيارة الأولياء، الأحياء منهم والأموات". (٤)

يقول الراوي عن الفجر:" والفجر زمن "يرتبط بالانبعاث والتجدد واليقظة من النوم والسعي، وهو وقت يرتبط كذلك بالإبداع وبتحويل مناطق اللاوعي المختلطة والمتداخلة إلى وعي إبداعي.. وهو وقت يرتبط فكريا بمرحلة الشباب التي هي مرحلة يميل الإنسان فيها إلى التخلص من الأفكار غير المفيدة

(١)الرواية، ص٦٦.
(٢)الرواية، ص٣٩١.
(٣)الرواية، ص١٣.
(٤) انظر شاكر عبد الحميد الحلم والرمز والأسطورة، مرجع سابق، ص١٢٤،

والسعي نحو أفكار وخبرات مفيدة تؤدي إلى مزيد من الفهم للذات وللواقع وللحياة وللكون بشكل عام.." (١)

إن عملية الوعي بالزمن عند الغيطاني، لا تعني الزمن المجرد الخالص..زمان الساعة، بل الزمن الذي يشعر به، الذي يعني شيئا ما بالنسبة له. أي أن الزمن عند الغيطاني هو زمن شعوري مرتبط بمكان، وهذا ما يتضح من تعبيره عن لحظة إدراكه الزمن بقول:" اعلم يا أخي لكريم، أنني رغم انشغالي هذا منذ الطفولة إلا أن إدراكي الأعم بما انقضى لم يبدأ إلا بعد اكتمال عقدي الثاني تقريبا، في الطفولة والصبا لا يكون هناك إلا حاضر غير متصل في الوعي المدرك بما قبله أو بعده إلا فيما ندر، لكن مع التقدم حثيثا في الزمان، تكتمل شيئا فشيئا أمور استيعاب ما في الكون الإنساني، عندي بدرجة. أو عندك بدرجة، ولكن الفروق طفيفة في الأغلب الأعم، حتى إذا بلغ المرء نقطة فيها ما انقضى أطول مما تبقى، وما مر أكثر مما هو آت، ينثني الإنسان ممعنا في تقليب ما انقضى، متحسرا على ما فاته.."(٢)

لقد اعتمد الغيطاني على الذاكرة، وعمل على توظيفها توظيفا فنيا من خلال الاسترجاع القصدي المحسوب، الذي يسم رواية السيرة الذاتية ويميزها عن غيرها. فالزمن " يمضي بنا وتبدو أحداثه وكأنها تؤول إلى العدم، ولكنها تظل حاضرة فينا بفضل الذاكرة العجيبة التي تبدو وكأنها تستبقي الزمن، وتعيد ترتيب أحداثه على هواها".(٣)

نستطيع كذلك أن نقف على ثلاثة أزمنة لهذا النص الروائي:

- **زمن ما قبل الهاتف**
- **زمن الهاتف**
- **زمن ما بعد الهاتف.**

في الزمن الأول، قبل سماع الهاتف، لم يكن ذا شأن، فهو بنص الراوي:" لا يذكر أمرا ذا جلل قبل بزوغ الهاتف، فراغات مبهمة.."، بل

(١)السابق، ص١٢٣.
(٢)الرواية، ص٢٣٢.
(٣)د. سعيد توفيق، عالم الغيطاني قراءة في دفاتر التدوين، دار العين للنشر، ٢٠٠٨م، ص١٠٠.

إنه لم يستكمل وعيه بالمكان، وبالأحرى لم يبدأه، إلا بعد سماع الهاتف: ارحل إلى المغيب ! فالهاتف إذن، مفتاح الوعي ومفتتحه.(١)

كذلك يعود ليؤكد على أنه في زمنه الأول قبل الهاتف " كان يتطلع ولا يلتفت، يترقب ولا يسترجع، ما مضى منه أقل ، وما تبقى لا يدرى عنه شيئا، لم يكن مشغولا به، وإن أدرك فيما بعد أن كل آت قريب، وأن كل ماض ناء جدا!".(٢)

فهذه المرحلة الزمنية تمثل مرحلة الطفولة، التي يكون فيها الوعي في طور التشكل والبناء.

أما زمن الهاتف

أما زمن الهاتف، ويقصد به اللحظة التي يأتي فيه الهاتف لأحمد بن عبدالله بطل الرحلة، وهي لحظة سديمية بين اليقظة والنوم، يصف الراوي هذه اللحظة بقوله:" خلال اللحظات الفاصلة ، الواصلة بين عالمين، دوى الهاتف، برق، لكم تكرر فيما بعد، لكنه لا ينسى أبدا المرة الأولى، هكذا..لا تمحى البدايات من الذهن، كذلك النهايات، أما ما يقع بينهما فنسبي!".(٣)

وهذه اللحظة أسهمت بشكل كبير في إرباك " أحمد بن عبدالله"، خاصة أنها كانت تأتيه في أوقات مباغتة. فبعدما تأهب لإشهار نيته للتصريح بعزمه أنه سيتبع الحضرمي، "سيقتفي أثره، يعلمه ما تبقى، ينطق بما لم يقله بعد، لن يفارقه...عند قرب تجاوزه تلك اللحظيات برق الصوت مجهول الجوهر والمصدر. ارحل.." (٤)

ثم نرى الهاتف يأتيه قبل ولادة زوجته في "واحة أم الصغير"، يقول:" لم يتبق إلا شهران على الوضع، ...،لكم تبدو مصر نائية عنه، لو أنه بدأ الآن،

(١) د. يوسف زيدان: التقاء البحرين (نصوص نقدية)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٧م. ، ص٦٤.
(٢)الرواية، ص٢٥.
(٣)الرواية،ص١٤.
(٤)الرواية، ص٥١.

فمتى يصلها، لو أن ابنه يخرج إلى الدنيا هناك! أي أمان، أي دثار؟ في هذه اللحظة والليل ساج غميق، انتفض جالسا في البداية.. قم..وارحل.." (١)

ففي لحظة الحنين إلى مصر التي فارقها، وانتظاره ابنه الذي بقي على ميلاده شهران، فوجئ بالهاتف، وكأنه لا يريد له أن يُشغل بأي شيء عن تحقيق هدفه أو يُعطل عن تحقيقه، وهو الوصول إلى مغيب الشمس. فها هو بعدما ساقته المصادفة أن يكون رأس المملكة ، وعند تجهيزه للجيش ليصد العدو المجهول، إذا بالهاتف يفاجئه ويأمره بالرحيل، يقول:" تأهبت لبدء حديث غير عادي،...، سأعلن بدء الجهاد دفاعا عن موطن الشمس. إقليم الطير، سأهدد العدو القادم...، تأهبت لصعود الدرجات السبع المؤدية إلى الشرفة الدائرية. حيث لا يقف إلا أنا.. ما بين الدرجة الثالثة والرابعة. بالضبط. هبط ثقل مفاجئ شل صفوي. اجتز زهوي. لم أتوقع هذا قط. لم أعد لمواجهته...مرة أخرى أصغيت إلى الصوت القادم من كل فج. النابع من جهة ما عندي وتخفى علي، تلك النبرة الآمرة، التي لا قبل لي بها.. ارحل... ارحل الآن إلى موضع مغيب الشمس". (٢)

ولا شك في أن هذه المباغته جعلته في حالة قلق وترقب دائم. وجعلته يفارق ما اعتاد أو ما أوشك الاعتياد عليه، ومن ثم "لا يمكنه الحكم على صلة بمنزل أو دار أو وطن"(٣). وقد مثلت هذه المباغتة عنصرا من عناصر التشويق والإثارة في النص الروائي.

- زمن ما بعد الهاتف:

هو زمن ذاتي نفسي يمتلأ بالخوف، والزمن إلي وقعت فيه أحداث الرواية، فهو أطول أنواع الأزمنة الثلاثة، وفي هذا الزمن يكون " أحمد بن عبدالله" مرغما على تنفيذ أمر الهاتف طائعا ملبيا كأنه مسلوب الإرادة." ليس بوسعه إلا الاستجابة إليه والامتثال""(٤). فالهاتف كان علامة بداية الرحلة

(١)الرواية،ص١٠٤.
(٢)الرواية، ص٢٤٨-٢٥٨.
(٣)الرواية، ص٢٣٢.
(٤)الرواية، ص١٥.

رحلة المعرفة، يقول أحمد بن عبدالله: " إن يقظته اكتملت، تطلع حوله، إلى فراشه، إلى موضع رأسه، إلى دفء المكان، أيقنأن المقام انتهى هنا، ما كان لن يكون، ما استمر حتى ألان انقطع، ما انتظم اختل، وما التأم زمنا على وشك الانتثار والتبدد..." (١)

نستطيع أن نقول أن هذا الزمن هو زمن تحصيل المعرفة، واكتشاف الذات، وتكوين الخبرات." لكم استعاد في قفره نظرة الحضرموتي الحادة. تلويحه إصبعه القاطعة، إذ يحذره من خطورة الاستسلام للوهن. للاسترخاء بعد بلوغ التعب درجة قصوى. واليقين من انقطاع السبل، المسافر بمفرده أو الضال في الصحارى يدركه هذا الحال، الركون إلى الكف، التوقف عن السعي، متعة بداية الصمت الأبدي، قال الحضرموتي إنه بقدر رغبة الإنسان في الحياة وداومها. يسعى طائعا، مختارا إلى العدو، هذا بيان!، لم ينس ذلك"(٢)

ففي هذا المقطع أوضح بطل الرواية الخبرات التي اكتسبها من الحضرموتي عبر تقنية الاسترجاع الداخلي. وفي الوقت ذاته يعمل المؤلف على نقل هذه الخبرات إلى المتلقي بطريقة قصدية،: " لتشكل معنى من معاني وجودنا الإنساني المعيش الذي خبره كل منا، ففهمه ووعاه وبقي مخزونا في ذاكرته ليطفو على سطح وعيه بين حين وآخر، أو لم يفهمه ويعه فبقي يوجه شعوره وإحساسه بالأشياء دون أن يعرف كنهه ومصدره".(٣)

الخاتمة:

وبعد، فقد حاولت هذه الورقة البحثية إلقاء الضوء على أهم العناصر السردية التي اتكأ عليها الغيطاني في أعماله الإبداعية بصفة عامة، ألا وهو الزمن.

١- كان الغيطاني مشغولا بقضية الزمن، وهو ما برز بصورة لافتة للنظر في هاتف المغيب.

٢- يعد الزمن في هاتف المغيب بطلا من أبطال الرواية.

(١)الرواية، ص١٦.
(٢) الرواية، ص٢٧٩.
(٣) د.سعيد توفيق، عالم الغيطاني، مرجع سابق، ص٦٧.

٣- أسهمت ديمومة الزمن في صنع أحداث الرواية في جريانها الممتد، اللانهائي.

٤- جدلية الماضي والحاضر كانت شغلا شاغلا للغيطاني في هاتف المغيب.

المصادر والمراجع:

- جمال الغيطاني: هاتف المغيب، دار الشروق، الطبعة الأولى٢٠٠٨م.
١. إبراهيم الفيومي، الحداثة من خلال التراث قراءة في رواية هاتف المغيب، مجلة المصائرالأردنية، المجلد(١)، العدد(٣) آزار١٩٩٧م.
٢. أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، دار الحديث،القاهرة١٤٢٣ هـ.
٣. إيمان فتحي زكي: الاتجاهات الفن القصصي في جنوبي صعيد مصر في النصف الثاني من القرن العشرين، رسالة ماجستير، مخطوطة، كلية الآداب جامعة سوهاج٢٠٠٧م.
٤. أحمد محمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، الأردن، ٢٠٠٤
٥. جبرا إبراهيم جبرا، ينابيع الرؤيا– المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط١-
٦. جمال عبد الملك: مسائل في الإبداع والتصور، ط١، دار الجيل، بيروت، سنة١٩٩١م
٧. جمال الغيطاني: جدلية التناص،مجلة ألف، عيون المقالات ، العدد(٢) أبريل١٩٨٦م،
٨. د.جوزيف ميشال شريم:،دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤
٩. جويدة يحياوي : البنية الزمانية والمكانية في رواية زقاق المدق، رسالة ماجستير، مخطوطة، كلية اللغات والآداب، جامعة بوضياف- المسيلة، الجزائر٢٠٠٥م
١٠. جيراند برانس: المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٣م،

١١. روجرب هينكل: قراءة الرواية، ترجمة د. صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة٢٠٠٥م.
١٢. زينة حمزة شاكر حمود،الزمن المطلق في الرواية العربية وأثره في التلقي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية. م٢٣ ع٤ لعام٢٠١٥.
١٣. سالم يفوت: الزمان التاريخي، من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفعلية، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، بيروت، لبنان، آذار /مارس١٩٩١م.
١٤. د. سعيد توفيق، عالم الغيطاني قراءة في دفاتر التدوين، دار العين للنشر، ٢٠٠٨م.
١٥. سعيد يقطن: انفتاح النص الروائي (النص- السياق)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩.
١٦. سمير سعيد حجازي: النظرية الأدبية ومصطلحاتها الحديثة، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة٢٠٠٥م.
١٧. سمير الحاج شاهين: لحظة الأبدية، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، ط١، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠م،
١٨. سميرة بن جامع:العجائبي في المخيال السردي في ألف ليلة وليلة، رسالة ماجستير،منشورات جامعة الحاج لخضر – باتنة، الجزائر ٢٠١٠م.
١٩. سيزا قاسم: بناء الرواية، منشورات مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م،
٢٠. د. شاكر عبد الحميد: الحلم والرمز والأسطورة، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٨م.
٢١. شعيب حليفي: مكونات السرد الفنتاستيكي، مجلة فصول، المجلد (١٢) ، العدد الأول، ربيع ١٩٩٣م.
٢٢. صالح مفقودة: نصوص وأسئلة " دراسات في الأدب الجزائري"، هومه، ط١، الجزائر، ٢٠٠٢م،
٢٣. عائشة بالطيب: الرواية والتاريخ عند واسيني الأعرج، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر – باتنة، ٢٠١٣م.
٢٤. عبد الرحمن بدوي : الزمان الوجودي، ، دار الثقافة – بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٧٣.

٢٥. عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن ودلالاته في الرواية العربية المعاصرة، ،الدار العربية للكتاب ، د. ط ، ١٩٨٨
٢٦. عبد العالي بوطيب: إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول، المجلد (١٢)، العدد الثاني ١٩٩٣،
٢٧.عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، العدد٢٤٠، كانون الأول١٩٩٨م.
٢٨. د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه. دار الفكر العربي سنة١٩٦٧م
٢٩. علي الغيضاوي: الإحساس بالزمان في الشعر العربي من الأصول حتى نهاية القرن الثاني للهجرة دراسة اتجاهات الشعراء العرب الزمانية، منشورات كلية الآداب بمنونة، ٢٠٠١م.
٣٠. فاطمة محمود أحمد عثمان، توظيف الصوفية في الرواية المصرية، رسالة ماجستير، مخطوطة مقدمة لكلية دار العلوم- جامعة المنيا،٢٠٠٤م
٣١. فيصل دراج: الرواية وتأويل التاريخ نظرية الرواية والرواية العربية، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب٢٠٠٤م.
٣٢.فيصل غازي النعيمي: العجائبي في رواية الطريق إلى عدن، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية المجلد (١٤) العدد (٢) آذار ٢٠٠٧م.
٣٣.محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب،ط٣، دار صادر ، بيروت١٤١٤هـ.
٣٤. محمد شاهين: آفاق الرواية "البنية والمؤثرات" منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق ٢٠٠١م.
٣٥. محيي الدين بن عربي: الفتوحات المكية. السفر السابع – الجزء ٤١.
٣٦.محيي الدين بن عربي: فصوص الحكم. –الجزء ١.
٣٧. مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية،دار القصبة، الجزائر، ط١ ٢٠٠٠م.
٣٨. مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للطبع والنشر، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
٣٩. د. يوسف زيدان: التقاء البحرين (نصوص نقدية)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٧م.